12me Année No. 557

Lundi - 6 - 3 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٥٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ٦ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

٢٠١ العلم التبشـيرى ... .. : الأستاذ عباس محمود العقاد ...

٢٠٤ فى الرملة البيضاء .. ... : الدكتور عبـد الوهاب عزام

٢٠٦ دراسـات عن مقدمة ابن خلدون .. .. : الأستاذ دريني خشبة . . . .

٢٠٨ الحديث ذو شجون .. ... : الدكتور زكى مبارك ... ...

٢١٢ صلات علمية بين مصر والشام : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

٢١٣ منشأ العقيدة يزيدية وتطورها : الأستاذ سعيد الديوه جى ...

٢١٥ سجاد الأناضول .. . . . : الدكتور محمد مصطفى .. ...

٢١٧ نقل الأديب . . .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٢١٨ فى قنا وأسوان ... ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...

٢١٩ (١) الشعر الجديد وطاقات الريحان والورد والنقد (٢) أقوى من الموت ... : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

٢٢٠ (١) تلاقى الأكفاء .... (٢) ألوان من الحب ... : « د » ... ...

العلم التبشـــيرى

للأستاذ عباس محمود العقاد

الدرس العلمي يخدم الحقيقة ويبحث عنها ويرحب بها ولا يكره إظهارها حيث كانت فى مذهب من المذاهب أو إنسان من الناس

أما الدرس الذى يكره إظهار الحقيقة لأنها تخص مذهبا غير مذهبه ، أو تشيد بفضل إنسان على غير اعتقاده ، فليس ذلك بدرس علمى ولا بعلم ، إنما هو تبشير أو دعاية أو هوى مدخول .

ومن هـذا القبيل درس كاتب فى مجلة « المقتطف » يستره بدعوى العلم الصرف وما هو بمستور ، ويمزجه بنوازع التعصب الخفى عامداً أو غير عامد وما بها من خفاء

كتبنا عن عائشة كتابنا « الصديقة بنت الصديق » وعقدنا فيه الفصول لنقول إنها رضى الله عنها كانت امرأة تامة الأنوثة فى طبيعتها وخلائقها . فأعجب كاتب المقتطف بهذه الطريقة وقال من عنده : « . . . ومن محاسن هـذه الطريقة أن المترجم مهما يعظم ويخطر ينزّل منزلة الإنسان . فالسيدة عائشـة على فضلها أنثى تامة الأنوثة : تغار وتفرط فى الغيرة حتى أنهـا لتدب بين إحدى ضرائرها والرسول ابتغاء الاستئثار به ، وإنها ذات حدة طبعية ، وإنها ظلت تحمل الحقد لمن نصح للرسول أن يطلقها ،

وإنها مالت إلى ذرى قرباها في أمر الخلافة »

انتهى كلام كاتب المقتطف الذى يصطنع الدراسة العلمية وما هو منها فى غير باب الفهارس والعناوين

ونحن لم نقل إن السيدة عائشة حملت الحقد أو دبت بين الرسول وبين إحدى زوجاته ، وهذه عبارات الكاتب راقه أن يعبر بها عما أراده ، وبينها وبين ما ذكرناه فرق محسوس

إلى هنا نحن علماء ، وطريقتنا فى النقد لها محاسن ؛ ولكننا على ما يظهر لا نكون علماء ولا تعرف لطريقتنا حسنة إلا إذا وقفنا عند هذا الحد فى الكتاب كله من ألفه إلى يائه . فأما إذا أسفر النقد عن محمدة أو عن تبرئة من مذمة فقد كفرنا بالعلم وخرجنا من محاسن الطريقة إلى السيئات

ولهذا عاد كاتب الفهارس والعناوين يقول : « وتلك مزية فى الإنشاء قد تحرّف المنشئ إلى التمجيد والتفخيم إطلاقاً ، بدلاً من اختبار كنه النفس الفياضة بالإحساسات البشرية الصادقة الصافية ... »

إلى أن يقول : « غير أن هذا الضرب من الإنشاء ربما كان مسافةً إلى حديث يغلب عليه منطق الدفاع ، وذلك ما انجذب إليه المؤلف لما عرض لقصة الإفك ، فاجتهد فى الجدل — وهو لصناعته حاذق — فأيد مذهبه بشواهد المعقول ونصوص المنقول ، وربما لج فى استخراج هذه ، وأبعد فى استنباط تلك ، حتى أنه يمسى فى مدارج المجاذبة والمدافعة مدرها لا باحثاً ... »

ومعنى ذلك أننا أخطأنا لأننا نقضنا حديث الإفك وأسهبنا فى نقضه ، وإننا كنا نوافق العلم إذا رويناه ولم نعقب عليه ، أو كان قصارانا فى التعقيب عليه أن نقول : « إن قصة الإفك لا تحتاج إلى مثل ذلك الاجتهاد ... »

إذن نكون علماء ولا نكون مدرهين مدافعين ... !

وإذن يقر « العلم العبشيزى » عيناً لأنه يستطيع أن يصيح يومئذ بين من يستمعون إليه : « أيها الناس ! هذا قصارى مايملكه الباحث فى حياة السيدة عائشة من تفنيد لحديث الإفك وإبطال لدعوى المفترين عليها ، ولو كان عندهم مزيد من التفنيد والتصحيح لجاءوا به ولم يسكتوا عنه »

وهذا هو العلم اللذيذ الشهى المعجب المطرب الذى يبرئنا من اللجاجة ولا يؤخذ علينا فيه عيب القدرة على الجدال

أما العلم الذى يسهب فى تصحيح حديث الإفك دفاعاً عن سمعة السيدة عائشة فهو علم كريه بغيض عند المبشرين وأشباه المبشرين

هكذا يريدها كاتب « المقتطف » الذى يصطنع الدراسة العلمية لينفذ منها إلى هذه المآرب الخفية على ظنه ، وما هى بخفية

إذ الواقع أن المسألة هنا أظهر من أن يسترها هذا البرقع الممزق المشنوء ، وأن العلم الصحيح ، والأدب الصحيح ، براء من هذا العوج البين فى التفكير والتقدير

الواقع أن الإسهاب فى تصحيح حديث الإفك واجب علمى بلام على إهماله أو التقصير فيه ، لأننا نكتب عن « شخصية » السيدة عائشة فلا نكون قد صنعنا شيئاً إذا نحن لم نمحص خلائقها ولم نظهر مقدار الصدق أو البطلان فيما يقال عنها

وكل ما يجب علينا أن نثبت مقال الخصوم فلا نحذف منه شيئاً ، وأن نعرضه على مقاطع الحجج أو مواضع الاحتمال والترجيح فلا نغفل منها شيئاً ، ثم نقابل بين الكفتين لندل على الراجحة منهما والمرجوحة ، دون أن نكره القارئ على التصديق بغير برهان . وهذا ما صنعناه

وهذا الذى يعده الكاتب الذى حرمه الله الذوق والفهم لجاجة وخروجاً من وظيفة البحث العلمى إلى وظيفة الدفاع

ومن الواضح أن الباحث العلمى مطالب بالالتفات إلى البراهين القاطعة والوقائع الحاسمة كما هو مطالب بالالتفات إلى القرائن المرجحة والأدلة المحتملة ، فلا يلام على قرينة لأنها غير قاطعة ، ولا على دليل لأنه غير حاسم ، ولكنه يلام إذا أهمل شيئاً من ذلك أو أثبته ثم أعطاه حظاً من القوة غير حظه الذى يحتويه

ونحن قد أتينا بكل ما يخطر على البال من جانبى المقال ، ولم نبالغ قط فى قيمة ترجيح أو احتمال ، فقيل إنه خروج من البحث إلى الجدال

ولكن ما هو البحث الخالص البرىء الذى لا جدال فيه يا ترى ؟

هو الإسهاب فى متابعة كل حجة وكل قرينة للتشكيك والتوهين ، إذ التشكيك والتوهين هما العلم الذى لا جدال فيه ...

أما التصحيح والتبرئة فهما الجدال الذى يعاب على الباحثين والعلماء ... !

وهذه أمثلة من إسهاب كاتب « المقتطف » الذى برئ من الفهم والذوق وصراحة التفكير واستقامة القياس

قال بعينها :

« من ذلك أنه أول شكوى امرأة صفوان بن المعطل — وهو بطل حديث الأفك عند المرجفين — تأويلاً متزيداً فيه ، ثم استند لأجل دعمه إلى خبر لا ندرى ما يكون . وتفصيل ذلك أن المؤلف نقل أن امرأة صفوان شكته إلى النبى لأنه ينام ولا يصلى الصبح قبل طلوع الشمس ، ثم زاد : وقد يحسن هنا أن نوجه شكوى امرأة صفوان إلى بعض معانيها . كأنها أرادت بثقل النوم كناية عن أمر آخر لا تفصح عنه . إذ قيل عن صفوان هذا إنه كان حصوراً لا يأتى النساء »

نقل كاتب المقتطف ما تقدم من كتابنا ثم قال : « والذى عندى أن ليس وراء شكوى امرأة صفوان تعريض ، وليست حروف الشكوى بفارة نحو الكناية ، ولو كانت فارة لكان النبى الزكن فطن للأمر ، فما قال لصفوان على جهة التصريح : إذا استيقظت فصل ... ! »

فكل ما قلناه نحن أن الباحث يحسن به أن يوجه شكوى امرأة صفوان إلى بعض معانيها ، وهو أنها تكنى بنومه إلى ما بعد طلوع الشمس إلى إهماله واجب الزوجية ، ولا تحب أن تصرح بما أرادت ، لأن التصريح قد يخجل المرأة فى مجلس الرجال

لم نقل أن هذا القصد هو كل معانى الكلمة ، بل قلنا إنه بعض معانيها ، ولم نشأ أن نزيد على ذلك كثيراً ولا قليلاً ، ولو شئنا لزدنا وقلنا إن المرأة لم ترد إلا ما أشرنا إليه ، وإلا فما شأنها هى بصلاته بعد طلوع الشمس إذا كان ذلك جائزاً فى الدين ؟

لكننا مع هذا وقفنا عند حد الاحتمال الجائز ولم نزد عليه ، فإذا بهذا المطموس ينكر الكناية هنا كل الإنكار بدليل لا يخطر إلا على خاطر كليل وذهن عليل ، وذلك أن النبى عليه الصلاة والسلام قال لصفوان بعد أن سمع شكاية امرأته : إذا استيقظت فصل !

فيا أيها المطموس مرة أخرى ! بماذا تريد أن يجيبها النبى وهو يخاطب بذلك الكلام على سبيل الكناية ؟

أتريد من النبى الزكن الفطن أن تخاطبه امرأة خجلى كناية وتعريضاً فيجيبها على الملأ بما هربت منه وأبت أن تذكره على سبيل التصريح ؟

أهذا هو البحث الذى لا لجاجة فيه ؟ وهذا هو التدليل الذى لا يحسب من الجدال ؟

ثم أبى هذا الكاتب المطموس البصيرة أن يكون صفوان حصوراً بالمعنى الذى يرى السيدة عائشة فقال :

« وأما قصة الحصر فليست بالحجة القاطعة . فالذى فى سيرة ابن هشام أن عائشة إنما كانت تقول : لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتى النساء ... ثم أضف إلى هذا الاستدلال الخبرى واللغوى أن الذى ذكر عن صفوان لو كان أمراً مقطوعاً به مسلماً ما انبث حديث الإفك » إلى آخر ما قال

فلماذا يرد هذا على ذهن الكاتب المطموس ولا يرد على ذهنه أن ابن المعطل لو كان أمر حصره باطلاً معروفاً لما شاع عنه أنه حصور ؟ ترى هل كان يمكن أن يقال عنه إنه حصور وله ذرية غير متهمة ؟ ترى هل كان يمكن أن يقال عنه إنه حصور وله امرأة نعلم هى على الأقل أن الاتهام باطل وأن هذا الاتهام الباطل دليل على شىء مخبوء ؟

لماذا خطر له أن أصحاب حديث الإفك لن يشيعوا ما ينقضه البرهان ؟ ولم يخطر له أنهم قد يشيعون ذلك اعتماداً على التباس التهمة التى تحتمل كل التباس ؟

لماذا ؟ ... أللعلم الذى لا جدل فيه ، أم لشهوة النفس التى لا علم فيها ولا أمانة للحق والتاريخ ؟

وخلاصة هذه الأمثلة أن المسألة مكشوفة لا يجدى فى مداراتها اللغط بألفاظ البحث والعلم والاستقراء ، فإنما يكون الاستقراء علمياً عند هذا الكاتب وأمثاله كلما أفضى إلى تشكيك، واسترابة ، ولا يكون الاستقراء علمياً ولا محموداً ولا واجباً على الباحث أن يلم به إلماماً فى عرض الطريق كلما أفضى إلى تبرئة وتعظيم

وإذا قلنا إن السيدة عائشة مؤمنة بنبوة محمد عليه السلام